

المحاضرة (٢٤)

رواية جلال خالد

أما قصته الطويلة (جلال خالد) فهي سيرة ذاتية للسيد كتبها في أسلوب قصصي جمع بين السرد واليوميات، تقع القصة في قسمين يدور القسم الأول على رحلة شاب عراقي مثقف يُدعى جلال خالد إلى الهند، إثر احتلال الجيش البريطاني لوطنه، في العند يتعرّف جلال على صحفياً هندياً من الوطنيين الثوريين، فتؤثر فيه هذه الشخصية تأثيراً كبيراً، إذ يتعلم منه الكثير ممّا يتعلق بقضايا السياسة والاجتماع، كما يجعله يغير مفاهيمه السياسية الخاطئة.

كان جلال خالد يحمل آراء ومبادئ سياسية رومانسية، غير ناضجة، تلقفها من محيطه في العراق ومن قراءات للكُتّاب الرومانسيين العرب أمثال جبران خليل جبران ومصطفى لطفي المنفلوطي، فكان يُشخص السلبيات ويعطف على الضعفاء والفقراء، غير أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً من أجلهم فيأأس ويتشاءم، لكنه في الهند عرف الوضوح في الرؤية والفكر، إذا صار يطلع على أحداث الأفكار والنظريات في العلم والسياسة والاجتماع حتى اتسعت آفاق تفكيره، وعرف طريق العمل والخلاص وأصبحت أفكاره إنسانية، من هنا كان قراره بالعودة إلى الوطن حين اندلعت الثورة فيه ضد المحتلين، للمساهمة فيها إلى جانب أبناء شعبه، غير أنه يصل الوطن متأخراً فيجد الثورة قد انتهت، الأمر الذي يجعله يحس بحزن عميق ويعتكف في المنزل، وممّا يزيد في حُزنه النبا الذي يأتيه من الهند عن الفتاة اليهودية التي كان يحبها، التقى جلال خالد بسارة في الباخرة التي أقلتته من البصرة إلى الهند، مع أبيها وخطيبها، وبعد وصول الباخرة إلى الهند، يودّع الأسرة ولا يعرف بعد ذلك شيئاً عن مصيرها، غير أنه يعثر بعد فترة على خطيبها وقد جُن، فيرعاه ويُحاول أن يعرف منه مصير سارة، كلن دون جدوى، وأخيراً يعرف وهو في العراق أنها أصبحت بغياً بعد نكبة أبيها وزواجها الفاشل، ولعلّ هذه الحادثة الغرامية أن تشكل مصدر التشويق

في القصة، وتضفي عليها بعض الحيوية وتجعل القارئ يتابع قراءتها، وهي ليست زائدة ولا يضر حذفها الرواية في شيء، كما يرى أحد الباحثين.

أما القسم الثاني من القصة يتكوّن من رسائل يتبادلها جلال خالد مع صديقين له، نفهم من هذه الرسائل سعي الأصدقاء الثلاثة إلى إصلاح المجتمع وتغييره عن طريق ثقافتهم وأفكارهم الثورية غير أنهم لا يستطيعون تحقيق ذلك بسبب التخلف الشديد المسيطر على المجتمع وتعدد مشكلاته.

إن (جلال خالد) لا تتوافر فيها شروط الرواية، فبناؤها مُفكّك وليست ثمة خطة رئيسية تشد بين أجزائها، كما أن حوادثها خافتة وتصوير الشخصيات فيها باهت عدا (جلال خالد) وفي الوقت ذاته يسيطر عليها أسلوب خطابي وتقرييري، مثال ذلك "ولو قدر لك ان ترى العامل في المعمل وهو مرتد ثوبه البسيط العادي يقتله الحر والعمل المستمر المنكب عليه مستسلماً، وعلمت أن أجره لا يكفيه لأسفت ولعطفت عليه ولشعرت بالنفرة من تلك النظم الظالمة القاسية التي تستغل الجموع لأجل الفرد الذي لا يمتاز عنها بعضو من أعضاء الجسم، بل هي بخصائنها الجسمية والعقلية ارجح وأعلى..).

ولعل قيمة (جلال خالد) تكمن في كونها من الروايات العراقية الأولى التي كتبت بأسلوب جاد وكونها تعكس تفكير المثقفين العراقيين في أواخر العشرينات الذين كانوا يسعون إلى طرد المستعمر وتغيير مجتمعهم نحو الأفضل، بيد أنهم بسبب عند نضج الظروف الموضوعية ما كانوا يستطيعون تحقيق ذلك، فكان الإخفاق وكانت النظرة التشاؤمية الحزينة.